

الدولة المغيبة ومناورة محاربة الإرهاب

الكولونيل شربل بركات

أتحفنا التلفزيون في لبنان أمس بفيلم مشوق جديد من أفلام الموضة "الهوليودية" حيث تقوم مجموعة إرهابية باختطاف طائرة ركاب لبنانية من مطار روما وتحويلها إلى بيروت والمطالبة بالإفراج عن زعيم المختطفين المسجون في لبنان ودفع مبلغ من المال. ثم يأتي دور "أبطال" الفيلم الأشاوس من فخامة رئيس البلاد إلى دولة وزير الداخلية وغيرهم من الأبطال الذين يديرون العملية، وقد شاهد المتفرجون كيف يقتل المجرم الخاطف أحد الركاب بكل برودة أعصاب ويلقيه من الطائرة وكيف ينقض أفراد فرقة مكافحة الإرهاب الذين، وكأفلام هوليوود نعم، يبدعون في التنفيذ السريع والدقيق حيث يقتل فقط أحد الركاب بينما يقضى على ثلاثة من أفراد المجموعة ويلقى القبض على الرابع.

المشاهدون تأثروا كثيرا بالفيلم وهو قد عرض من دون مقدمات أثناء الأخبار المسائية ما جعل الناس وخاصة في الاغتراب يشعرون كأنه بالفعل من الواقع فيستبشرون بالخير ويحلمون بالدولة القادرة ويتأملون بمستقبل قريب يلتحق فيه لبنان بالركب العالمي في مكافحة الإرهاب والتخلص من منظماته وبقياه.

اللبنانيون وهم يشاهدون العملية المتلفزة تذكروا أيام الإرهاب ومشاهدها المؤلمة. تذكروا بالطبع طائرة الـ"تي دبليو أي" الأمريكية التي اختطفها إرهابيون لبنانيون وصورتهم الكاميرات، بالفعل، يلوحون من شباك الطائرة الجاثمة في مطار بيروت بالكلاشنكوفات وليس بالسكاكين الصغيرة، صورتهم الكاميرات وهم يلقون من باب الطائرة بجثة الشاب الأميركي الذي صادف وجوده فيها بعد أن قتله بكل برودة أعصاب، تماما كما جرى في فيلم الـ"أمس". وكان "عماد مغنية" بطل ذلك الفيلم الإرهابي الذي جعل لبنان يعود ليصبح إحدى دول الإرهاب، بعد أن كان عرفات قد رحل، وتطلق يد هذا الإرهاب ليتحكم بالدولة ومقدراتها ويحدد سياساتها ويمنع عنها أن تتحرر بالفعل من الاحتلال ورواسبه ومخلفاته. عندما شاهد اللبنانيون بالأمس عملية مكافحة الإرهاب خالوا أن الدولة قد صارت بالفعل قادرة على محاربتة ووقف عملياته وها هو رأسها يدير بنفسه تفاصيل مكافحته.

اللبنانيون لا يشكون أبداً بقدرة أجهزة دولتهم على القيام بهكذا عمليات لا بل بأكبر منها، وهم يعرفون بدون شك أن المشكلة في قمع كل أشكال الإرهاب ليست قدرة أجهزة الدولة أو الجيش على التنفيذ، إنما المشكلة هي في الغطاء السياسي لكل قرار يتعلق بوقف الإرهاب أو منعه، بتوقيف قاداته أو عناصره، بشل تحركاته أو تنظيف الساحة من نتنه. والإرهاب الذي تحكم بلبنان منذ أيام عرفات وجماعته، باركه المحتل الفعلي ومنع التصرف معه بالشدة المطلوبة والسرعة الحاسمة حتى فرخ عرفات وصار الدين أخيراً ملجأه ورجاله غطاءه لا بل قاداته والمروجين له. ومحاربة الإرهاب لو تمت منذ ١٩٦٩ بدل اتفاق القاهرة المشؤوم لكان لبنان اليوم ينعم بالازدهار الذي يحسد عليه ولم نكن أبداً لنفقد شبابنا في ساحات القتال أو المهاجر البعيدة. فلماذا سمح للملك حسين أن يقتله ولم يسمح للبنان؟ هل لأن الاحتلال السوري هو الذي كان يخطط لخراب لبنان منذ تلك الأيام؟ أم أن اللبنانيون كانوا أغبياء، لا سمح الله، لتركوا شعارات، يعرفونها فارغة، تتحكم بمستقبل البلاد لثلاثين سنة ونيف ولا تؤدي إلا إلى الخراب والفقر ومزيدا من الاحتلال البغيضة؟..

اللبنانيون يعلمون كل العلم أن الإرهاب إلى نهاية وأن رعاته سيرحلون معه، ولكن هل أتت الساعة بالفعل ليبدأ

تنفيذ التحرر من برائته؟ وهل أفلام كهذه سوف نراها بالفعل تنفذ لإلقاء القبض على "عماد مغنية" مثلا أو "أبو محجن" أو أي من هؤلاء الذين ينعمون بالحماية في جزر أمنية ليست بحاجة لأكثر من تلك القوة التي استخدمت في المناورة لكي تخلص البلاد منها؟ أم أن اللبنانيون ليسوا من هذا العالم ولا الفلسطينيون في المخيمات هم من البشر الذين يحق لهم بالحياة الكريمة لا بل يجب أن يبقوا رهينة للإرهاب الذي قد يحتاجه المحتل لتصفية حساب أو لعقد صفقة يبيع فيها ويشترى على حساب دماء وأمن اللبنانيين والفلسطينيين؟

المسألة أيها السادة ليست من يستطيع القضاء على الإرهاب في لبنان، وهي أيضا ليست في تحديد مخابئ الإرهابيين أو مراكزهم، ولا في تحديد هويتهم، وهي لا تحتاج أن يكون فيها "سنة وستة مكررة" لكي تقمع لأنها داء بغض على الجميع ومفاعله قد وقعت علينا كلنا فشوهت صورة لبنان وأمن مواطنيه وصحة مجتمعه واقتصاده وجعلته رهينة لا يرجى منها الشيء الكثير. فإن أردنا أن نقمع الإرهاب فنبدأ بالجزر الأمنية في المخيمات و"الضواحي" فقتلة القضاة الأربعة معروفون ومعروف من يحميهم والمعرضون علينا هم أيضا معروفون ولو تخفوا خلف العمامات أو غيرها من المظاهر، وقاتلوا رمزي العيراني أيضا معروفون من أجهزة الدولة كما قاتلوا الرهبة الأنطونية ومطلقوا القذائف الصاروخية على رئيس الوزراء في عقر داره، والأمثلة كثيرة. فلماذا يعرض الفيلم الذي قتل فيه "عماد مغنية" ذلك الشاب الأميركي في الطائرة ولا يلقى القبض على "عماد مغنية" نفسه في عملية أقل خطرا على المدنيين من تلك التي تجري في طائرة ركاب؟ وهل إن الأميركيين أغبياء ليكتفوا بفيلم دعائي أم إنهم يصرون على القبض على البطل الحقيقي لكي يعتبروا الدولة جادة في محاربة الإرهاب؟

نحن نعرف أن الإرهاب بغض على كل اللبنانيين ونعرف بأنه لولا وجود الاحتلال السوري والإيرانية (الحرس الثوري) لما كان أحد من اللبنانيين قد غره خط الإرهاب أو قبل أن يماشيه، لأن لبنان بلد منفتح ومجتمعاته متداخلة ويعرف الجميع أن التطرف إلى نهاية مهما صال وجال، ولكن وجود المحتل قد فرض ولا يزال تغيير في القيم اللبنانية وفي التصرفات، ولكنه لن يتمكن من الوقوف في وجه حركة التاريخ إلى ما لا نهاية ولن يقدر أن يستمر في سيطرته فالتغيير آت ولا بد والفرص مفتوحة للجميع ليعودوا إلى الصواب بدء من الدولة ورؤوسها وصولا إلى المنظمات وعناصرها، والمطلوب واحد أن الإرهاب زمنه قد ولى وعلى الجميع أن يتعظوا ويرتدعوا ولا يتاجروا بعد بشعارات الحقد والقتل وليتعلموا ممارسة الديمقراطية المنفتحة في عالم هو اليوم أصبح كلبنان متشابك المصالح متداخل الاتجاهات لا يمكن أحد فيه أن يدعي التفرد والانعزال، التصلب والأصولية التي تريد فرض آرائها بالقوة أكانت على دين موسى أو عيسى أو محمد، أكانت بوزية أو هندوسية أو سيخ أو حتى إذا ما كانت تدعي الإلحاد وترفض التقليد، لا فرق، فالقربة العالمية تستوعب الجميع ولكن بشرط أن تعرف كيف تتعايش وهذه هي ميزة لبنان الذي ضم عبر العصور كل الفئات فتعايشت متقاربة ولكن مع حفظ حرية الآخر إلى حد التقديس.

فهل يكون عصر لبنان الجديد قد قرب مع نهايات الاحتلال وبدء الدولة في تحمل مسؤولياتها وتنظيف البلاد من كل الأدران والتشوهات التي علقت بها؟ أم أنها لا تزال عملية مناورة تلفزيونية لا تخرج عن كونها دعاية للمحتل وأدواته؟